

شمال و جنوب

وشخصيته الانسانية

« نعم : في شمائل رسول الله محمد »
« العلماء والزعماء والشباب المثمل »
« العمل لشخصية (السوبرمان) وليس »
« في معامل الغرب يمكن أن يوجد »
« النموذج . »

أنور الجندى

الرسول

تاريخ وحياة

حياة رسول الله ﷺ وتاريخه ، كل ، لا يتجزأ ، فإذا حاولنا أن نفصل القول ، في هذه الحياة الضخمة ، بالحديث عن أجزائها منفصلة ، فإنما نجعل من ذلك وسيلة إلى تفهم المرامي الكريمة والاهداف العالية التي تملأ هذه الحياة وذلك التاريخ .

وقد رأيت أن أعرض لدراسة شخصية رسول الله وتاريخه على الوجه التالي :

- (١) تاريخ الرسول (عرض عام) - ابريل
 - (٢) شمائل الرسول وشخصيته الانسانية - مايو
 - (٣) القيادة في حياة الرسول - يونيه
 - (٤) الجندية والاتباع - يوليه
 - (٥) المنافقين والخصوم - أغسطس
 - (٦) غزوات الرسول - سبتمبر
 - (٧) مدرسة الارقم والكتيبة الاولى - اكتوبر
 - (٨) مهمة الرسول وتبعات الدعوة - نوفمبر
 - (٩) هدى النبوة وحديث الرسول وبيانه - ديسمبر
- وهذا هو البحث الثاني بين يدي القراء الثمن ٣٠ ملجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيرة رسول الله ﷺ . محبيه كل نفس ، فهي غذاء شهي
للأرواح المؤمنة ، وشراب سلسبيل للنفوس الطاهرة . وحديث
المصطفى الحبيب ، يملأ جوارح النفوس بالأكبار والاعزاز ،
وذكره يهز أعماق القلوب بالاشواق الربانية ، وتاريخه يفتح
أمام الأرواح بشار الخير والهدى والنور .

وهو ، صلوات الله عليه ، حبيب إلى النفوس جميعا ، حبيب
إلى قلوب المسلمين حيث تغلب فيه العاطفة على العقل ، نفوس
العرب باعتباره سيد العرب وفخر تاريخهم ، وتاج مجدهم ، وهو
حبيب كذلك إلى نفوس الكثير من الفرنجة المعجبين بآثاره وخلاله
وسجاياه وشماله . وبطولاته وأعماله .

وقد بلغ المسلمون في مختلف عصورهم في الحديث عنه إلى
ذروة القول . قالوا فيه الشعر حتى دخر تراث الأدب العربي
بالآلاف المؤلفة من أبيات القصيد الجياد ، وقصوا فيه القصص
حتى أنهم لم يتركوا فضائله الإنسانية لم يتناولوها بالشرح

والإفاضة ، بل انهم تجاوزوا العقل في كثير من الأحيان إلى
الخيال والمبالغة باللفظ والعبارة ، والقصة والرواية ، في غير ما حاجة
إلى تزيد أو ابتكار أو إضافة خيال ، إلى ذلك التاريخ السامق
الذري ، الرفيع الامجاد ، الذي لا يدانيه تاريخ إنسان من
قبل أو من بعد .

وتنافس كتاب العربية وبلغاء العصور ، وفصحاء الاقطار
على كتابه تاريخه ﷺ باعتباره اسماً مانحاً للاقلام ، وأرفع
ما يتقرب به إلى الله .

وأنشد المنشدون في مولده المدامح الطوال العراض ،
بما هو ثابت في سنته ، صحيح في تاريخه ، فضلاً عما (وضع) من
قبيل التمجيد لخاتم النبيين وأمام المرسلين .

واضيفت إلى سيرته ﷺ الكثير من الاسرائيليات
والخيالات والاهام بما لا ينقص من قدره اغفالها وشط
بعض المؤرخين عن غير قصد وحسن نية إلى المبالغة في قدر
الصلة بين الرسول والسماء ، حتى كادوا أن يقضوا على شخصيته
ﷺ الانسانية ، فنسبوا كل تصرف منه إلى الوحي

وبذلك اغفلوا جانبه الانساني الضخم ، وفي ذلك ما فيه من تجاهل للطبيعة الانسانية الكريمة ، المكلفة العاقلة المتصرفه في رسول الله الحبيب .

• • •

وهكذا لقيت سيرة الرسول ولقي تاريخه الكثير من العوامل التي بلغت بها حد المبالغة والنهويل ، أو الخلط والتقصير ، تحت ضغط الظروف والاحوال .

ولاشك ان ذلك كله لم يكن مقصودا به إلا الخير في تقدير هؤلاء الكتاب ، ولم يكن القصد من هذه الاستزادة إلا اتباع عاطفة الحب ورفعها فوق حكمة العقل .

واننا والله لنحب رسول الله ﷺ أكثر مما نحب أهلونا وانفسنا ، وانا لنطالع سيرته فتملىء نفوسنا بالاشواق العالية والتوجيهات الرفيعة والمثل الفاضلة ، وكم كنا نحب أن نستطرد في تصوير تلك الاشواق ، أو ابراز هذه العاطفة ، لولا اننا نريد أن نحولها بالقسامي إلى منافع عملية نلتمسها من سيرته ونطبقها في محيط دعوتنا ، التي هي امتداد لدعوة رسول الله .

نريد ان نكتب سيرة رسول الله على وجه اخر ، فيه عاطفة
وفيه عقل وفيه حب وفيه توجيه ، نلتمس منه العبرة والعظة ،
ونبحث في اطوائه العميقة الواسعة عن المثل والمنهاج والهدى
فنبرزه لانفسنا ولاخواننا ، لنجعل منه سلاحنا في الخطوب ،
وعدتنا في هذه المفاوز وذخيرتنا في ميدان الجهاد القريب .
وان يجد المسلمون عدة ولاسلاحا ولا ذخيرة قبل ان
يتأملوا ويطيلوا التأمل في سيرة رسول الله ، وقبل أن يدرسوا
ويطيلوا النظر في تاريخ خاتم الانبياء .

شيماء الزهد

كأنه وهو فرد في جلالته في عسكر حين تلقاءه وفي حشم تكاملت الشخصية الانسانية في شمائل رسول الله أو في ما تتكامل في إنسان . وبرزت فيه (الرجولة) التي تقسم بالزهد والتواضع وبالشجاعة والوفاء . وعرف بالربانية المؤمنة ، فكان (عابدا) يقف بين يدي مولاه حتى تتورم قدماه وكان (اجتماعيا) شارك الناس في جدهم ومراثيمهم وضرائعهم وأحبيهم وسهر عليهم أخوة وأتباعا ، وأزواجاً وأبناء ، في أيثار ووفاء

وعرف (بالزعامة) فكان مصلحا جمع إلى ضبط النفس قوة التأثير وكان فعالا أكثر منه قوالا ، لم يستغفل في مكيدة ولم ينم عن مهمته لحظة من ليل أو نهار . واتسم (بالسياسة) فكان مثالا للسياسة والدهاء دون تكبر أو طغيان . فعقد المعاهدات وبعث البعث وكان (قائدا) عرف بالبطولة الحربية والشجاعة فقاتل بيده ، وكان إذا اشتد البأس أقرب الناس إلى العدو

ووصل في ذلك إلى ذروة البلاغة في القول فكان (محدثا)
بارعا فصيح اللسان واضح البيان . يقول أوضح القول في
أوجز عبارة :

وهذه الشئان جميعا كان المثل الكامل للشخصية الانسانية
الفردية وكان المثل الأعلى للزعامة والقيادة وفي سيرته وشئانه يجد
الزعماء ويجد الرحان والأدباء والمخاربون والساسة والمحدثون
والاجتماعيون خلاصة الدراسات التجريبية للانسان الكامل
(السوبرمان) .

الرجولة

الحديث عن (الرجولة) هو خير ما يقدم في هذه الأيام
التي تمتحن فيها الرجولة في الشرق الاسلامي ، وهي مزية من
مزايا الطابع الانساني عمل الاسلام على تأكيدها فبرزت بأوفى
صورها وأجلاها في رسول الله فكانت حصنا منيعا من
حصون الاسلام .

نشكك عن (الرجولة) في رسول الله ﷺ ونعني بها ذلك
الطابع الانساني الذي يبرز في تصرفاته الطبيعية فيما يتصل به من

أمور معاشه وبيته وطعامه وسيره ونومه ، وفي حالة الرضى والغضب ، وتقدير من حوله كذلك وهي تصرفات تنظمها الرحمة والشجاعة والزهد والتواضع والوفاء والبساطة .

ولا أعنى بالرجولة إلا تلك الصلة السميكة السمحة المضمنة بين رسول الله ، وبين من يتصل به من معارف وخدام وأبناء وأزواج .

وليست الرجولة هنا هي الجفاف والكبرياء والاستعلاء على من يتصلون بسبب إلى الإنسان أو الزعيم ، وليست هي الجبن والاستخذاء والضعف ، وليست هي التماون في أمر من الأمور جليلها أو كبيرها ، وإنما هي ذلك الميزان الصادق الذي لا ترجح إحدى كفتيه إلا بمقدار : تلك هي (الرجولة المؤمنة) التي تشدها الشخصية الإنسانية لتصل بها إلى المثل الأعلى ، ولن تجدها إلا في رسول الله ﷺ

(١) اتسم الرسول بالزهد في الدنيا ، واكتفاءه بالقليل والمكنه ليس زهد الضعفاء أو زهد العجز والقصور ، وإنما زهد المالك فيها بملك ابتغاء مرضاة الله وقد أثر عنه قوله : مالى

وللدنيا ، إنما أنا والدنيا كراكب استظل بظل شجرة ثم مضى وتركها . وفي هذه العبارة البليغة الموجزة تصوير بارع لمقام هذه الحياة الدنيا بين عالم الفناء قبلها وعالم الخلود بعد الموت .

ولقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، وكان يرضى بالكفاف في المأكل والغليظ في الملبس وينام على وسادة آدم حشوها ليف ، بحسبه بضع لقيحات يقمن أوده ، وأحياناً كان يبیت طاوياً ، وكثيراً ما قضى وأهله الأيام ليس لهم طعام إلا الخبز والماء .

قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي اننا كنا ننظر الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ما أوقدت في بيت رسول الله نار فقال يا خالة ما كان عيشكم قالت الأسودان التمر والماء .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكل أكلتين في يوم واحد إلا كانت أحدهما تمراً ، وما شبع من خبز الشعير يومين متتاليين وكان مع كل ذلك يعظم النعمة وأن دقت ولا يذم شيئاً .

ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد هذه هي الزعامة الفقيرة والقيادة التي لا تقيم سلطانها

وصولجانها على دعائم واهية من المظاهر البراقة ولا تقيم
مآدبها وولاتها على ألوان الأطعمة المختلفة

وحياة الرسول لم تكن في الواقع حياة فردية ، وإنما هي
حياة توجيهية تقضى بالامر على وجه من وجوهه ، لأنها تريد
أن تكون وضعا من أوضاع الكيان الانساني الشخصي في
الجماعة الاسلامية .

ولذلك عرف في عباراته ﷺ روح التوجيه والتنفيذ ؛
ولم يكن هذا الفقر أو هذا (القصد) في أمر المطعم والملبس
وفرش النوم إلا رغبة في اقرار طبيعة خشنة صامدة ، لا يزعمها
نقص أمور المطعم والمشرب والملبس في ظرف من الظروف ،
وكان إلى هذا القصد ممتازا بالجود وسخاء مما لم يعرف مثله في
زعيم أوقائد أو مصلح اجتماعي أضف إلى ذلك روح المحاسبة والتقدير
التي تبرز عند استقبال مطعم شهى

دخل رسول الله ﷺ المسجد فوجد أبا بكر وعمر
فقال ما أخرجكما قالا : الجوع ، فقال رسول الله وأنا أخرجني
الجوع ، فذهبوا إلى أبي الهيثم التيمان الانصاري فقام فذبح لهم

شاة واستعذب لهم ماء ، ثم أتى بذلك الطعام والماء فأكلوا
منه وشربوا

فقال رسول الله : انسلن عن نعيم هذا اليوم
هذا أمر رسول الله وصحبه ، وما كان ذلك لينع من أن يرد
سبايا هوارن وكانوا ستة آلاف

ومن هذا ترى : الفقر والمسغبة ، فإذا جاء الطعام ذكر
رسول الله حساب الله عن هذا النعيم ، ثم ذلك السخاء الذى
يبرز فى رد ستة آلاف من السبايا ، والواقع أنه لا تعارض بين
هذا وذاك فالطعام والشراب أمران يتعلقان بالمرء ولا يحب رسول
الله أن يكونا هدفين يقصدان لذاتهما ، وإنما هما وسيلتان
لاستمرار الحياة فى سبيل الغاية العليا ، أما رد السبايا فهو اقرار
لوضع من أوضاع الدعوة وتأليف لقوم من الأقوام الذين
جاءوا مسلمين .

وكان طعامه صلى الله عليه وسلم ليلة عرسه من أم سلمة لا يزيد عن شئ من الشعير
أخذته أم سلمة فطحنته ثم عقدته فى البرمة وأخذت الكعبة فأدته
وعن أنس رضى الله عنه ، أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

طبق من رطب فجثا على ركبتيه فأخذ يناواني قبضة قبضة يرسل
بها الى نسائه ، وأخذ قبضة منها فأكلها ، وأخذ يلقي النوى بشماله
فمرت به داجنة فناولها فأكلت

ويقول رسول الله ﷺ : أخفت في الله وما يخاف أحد ،
وأوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أنت على ثلاثون ما بين
يوم وليلة مالى وابلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه
أبط بلال .

هذا رسول الله أيها الناس وهذا أمره من الطعام والشراب ،
وهو عبرة للأغنياء المبطونين ، يرون فيه كيف كان الرسول
لا يرى فيه رأيهم فهم يعيشون ليأكلون ، وهو يأكل ليعيش
يأكل لقيمات هي شيء قليل ضئيل يواريه ابط بلال ، وهي
شعير أو تمر في أغلب الأحيان . .

ومن حديث الطعام عند رسول الله عبرة أخرى للفقراء الذين
يزعجهم أمر قصور طعامهم وشرابهم في بعض الأحيان ، فهذا
رسول الله يبيت على الطوى ويربط بطنه من الجوع ويصبح
الصباح فيسأل أهله : أعندكم شيء ، فإن قالوا لا : صام يومه . ولقد

جاءه الضيف فارسل يسأل في بيوت زوجاته التسع فلم يجد عند
إحداها شيئاً فوكل أمره الى أحد أصحابه ، ولقد ضاقت زوجاته
بهذا الوضع وطلبن النفقة فأرسل الحق تبارك وتعالى من السماء
يفاصلهن المقام مع رسول الله (ان كنهن تردن الحياة الدنيا
وزينتها فتعالين امتهكن وأسرحكن سراحا جميلا) والمتاع هنا
هو متاع الطلاق

وتلك أولى دعائم الرجولة ، أن لا يكون الطعام والشراب
له من الخطر ما يوجه الانسان في الحياة ، ولا يكون الطمع فيه
سبيلا إلى نكران حقوق الله أو الخروج على مبادئ الحق ،
أو القصور عن نضال خصوم الدعوة ولقد شهد عصرنا هذا صنوفا
من الناس قتلهم الماكل والمشرب والملبس ، واستطاع الغاصب
ان يستقيدهم من اعناقهم بسلاسل من الذهب باسم الطعام الدسم
والمآدب الخافلة فانصرفوا عن حقهم وخاصموا أوطانهم
وتنكروا لحقوق أمتهم ، وهجروا دينهم وعاشوا معلقين في
ركاب أصحاب النضار ، وتلك جناية البطون ، وتلك قضية المعدة
٢ - اتسم رسول الله باليسر والبساطة في لقاء الأمور وفي

فوجيها إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن أثماً ،
يمزح ويتفكه ولا يقول إلا حقاً .

وقد برزت هذه البساطة في كل شيء ، فقد كان الرسول
يذهب إلى السوق ويحمل بضاعته ، وكان إذا تصدق وضع الصدقة
في يد السائل ، وكان يركب ويردف خلفه .

وجاءه الرجل وهو يمشى ومعه دابته فقال له أركب وتأخر
عن حمارة فقال الرسول له : أنت أحق بصدر دابتك مني إلا أن
تجعله لي فلما قال له الرجل اني جعلته لك ركب .

وايست هذه البساطة والبسر إلا مظهراً صادقاً من مظاهر
التواضع هو من أبرز صفاته صلى الله عليه وسلم ، ولقد كان هذا المظهر عجيباً
في شخصه وهو صاحب الدعوة التي هزت أتباعه بهذه السجائب
التي لم تعرفها الدنيا إلا في الزعامة الإسلامية المحمدية .

عرف الرسول بتلطفه مع الاطفال والصغار ، وعرف
بالصبر على الجفوة للغريب في منطقة ومسألته ، ولم يكن - تبعاً
لذلك - يواجه أحداً بما يكره ويحجب دعوة الداعي ، ويعود
المريض ، ويقبل الضر ، ويتجاوز عن المسيء وله في كل حالة من

هذه الحالات احداث تروى وليس له فيها كلام يقال ، فقد كانت حياته ﷺ حياة (تجريدية) وكانت اهدافه اهدافا توجيهية. وكان أسلوبه تنفيذيا محضاً

يعطى من منعه ، ويصل من قطعه ، ويبذل لمن حرمه ، ويغضى طرفه من الأذى وكان أجود من الريح المرسله .

قال له أحد الوافدين أنت سندا : قال السيد الله : قولوا قوا لكم ولا تستجربنكم الشيطان

إذا أقبل جلس حيث ينتهي به المجلس ، وكان يمد طرف رءاه لحليمة لتجلس عليه ويلقى وسادته لضيافته ويجلس هو على الأرض ، وكانت له حصير يحتجزه في الليل فيصلى فيه ويبسطه بالنهار فيجلس عليه .

ذلك هو رسول الله ، الذى لم تعرف عنه مهانة ولا جفاء بل الدماعة واليسر ، جبل على الخاق الكريم بالهبة الالهية وليس بالرياضة النفسية ، يحلب شاته ويخصف نعله ، ويحب التيمن فى كل شئ ، فى ظهوره وفى ترجمه وفى تنقله .

دخل عليه الرجل يرجف فقال له : خفض عليك ، انما أنا
ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .
كان بيته حجرات واطئة ضيقة من اللبن بينها حواجز من
جريد النخل .

هذه صورة من تواضع رسول الله وبساطته ويسره ، اتسم
بها الرسول فعرف بها ، وبهذا الخلق جمع الداعي حوله الانباع
وانفذ اصلاح في ذلك المجتمع الضعيف الواهي فرفع قوائمه ،
وامده بالمثل العليا للتواضع والشجاعة والرحمة .

ولقد غفل القادة والزعماء عن هذا الجانب في حياتهم وظنوا ان
البساطة واليسر والاختلاط بالناس ينقص من اقدارهم فتحصنوا في
ابراجهم العاجية ، وأنفوا أن يضطربوا مع الناس في مجتمعهم أو يأخذوا
معهم في أمورهم ، أو يشاركوهم فكان نصيبهم النكران والجحود .
عرف رسول الله بالتفكه فلم يكن جهما وقد ظن بعض
الناس ان الجهامة من الزعامة .

يحمل بضاعته وقد ظن بعض الناس أن حمل
البضاعة عورة .

عرف بتلطفه مع الاطفال وكان يدمع لموتهم ويقول انما
هي رحمة يضعها الله في قلب من يشاء من عبادہ
يكره التيز والترفع عن أصحابه واتباعه فلم يكن يعرفه
الغريب الوافد إلى المسجد حتى يسأل عنه .

٣ - عرف قدرة كل من عرفه ، عندما دخل المسجد
والقبائل مختلفة قالوا هذا الأمين ، وعند ما وقف على الصفا
فقال لو أخبرتم أن خيلا بسفح هذا الوادي تجري اكنتم
مصدقى قالوا ما جربنا عليك كذبا .

وقالت له السيدة خديجة عندما لجأه الحق في غار حراء
فقفل ترجف بوادره : والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل
الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضعيف ، وتعين
على نوائب الحق .

٤ - لم يغضب رسول الله إلا للحق ، وما غضب لنفسه مره
ولا انتصر لها

وعندما غضب على السيدة عائشة بعد أن استأمنها على العبد

فهرب منها وقال لها . قطع الله يدك . عاد فرفع يده إلى السماء
ودعا ربه . اللهم أننى بشر أغضب واسف ، كما يغضب البشر ،
فأيا مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه بدعوة فأجعلها له رحمه .

لم يعرف عنه قط الغضب عليه السلام فى أمر من أمور
نفسه ، ولم ير غاضبا إلا فى قليل من الأمور ، غضب يوم مقتل
حمزة ، وغضب يوم عاد من حنين وأخذ الأعراب يسألونه حتى
اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف وقال : أعطونى ردائى
فلو كان لى عدد هذه الغضاة نعم ، لقسمته بينكم ثم لا تجدونى
بخيلا ولا كذابا ولا جبانا

وهو فى غضبه يمتلك تعبيره فلا يتفلسف منه الكلام : غضب
يوم حبس عثمان ووقف تحت شجرة الرضوان وقال : يا يعونى
على أن نتأجر القوم !

وإذا كان قد غضب فى حادثين أو ثلاثا مما يتصل بأمر الدعوة
فإنه لم يغضب فى عشرات الحوادث التى تتصل بشخصه الكريم
ولم يغضب على الرجل الذى قال له . يا محمد اقض حقى

فانتم معاشر بني عبد المطلب مطل
ولم يغضب حين جبهته الاعرابي من برده نجراني الغليظ
الحاشية حتى أثر في عنقه الشريف .
ولم يغضب من الرجل الذي قال له بعد عطاه إياها:
هل أحسنت اليك فقال ولا أجملت !
وكان يتوضأ ليزول غضبه ، ويجلس إذا كان قائماً ، ويقوم إذا
كان قاعداً ويوصي بذلك

(هـ) وعرف إلى ذلك كله بالرحمة التي لا تقتصر على بني
الإنسان فحسب ، بل التي تشمل كل حي

مر الرسول وهو في طريقه إلى فتح مكة على كعبة تهر على
أولادها ، وهن من حولها يسترضعنها فأمر جعيل بن سراقه أن
يقوم حذائهما حتى يمر الجيش لا يعرض لهما أحد

وبكى يوم مات إبراهيم وقال يا إبراهيم انا لن نغني عنك
من الله شيئاً ، وأنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، تبكى العين ويحزن
القلب ولا نقول ما يسخط الرب

وهكذا تضطرد في تصرفاته ﷺ اليومية الصغيرة والكبيرة

روح التوجيه ومعاني التطبيق فتكون تحريمية لا حظائية
وكان مشرق الروح ، موصول القلب بربه في كل أمره وحاله
يقول ابن شهاب : ان النبي ﷺ كان يأتي له بالباكورة
(من الفاكهة أو غيرها) فيقبلها ويضعها على عينيه ويقول (اللهم
كما اريتنا أوله فأرنا آخره)

وكان لا يزججه الأمر الجلال من ثقته بربه : رمى الكفار
التراب على رأسه الشريف فدخل إلى بيته وأخذت فاطمة تغسله
عنه وهي تبكي وهو يقول : لا تبكي يا بنية إن الله مانع أباك
وكان يعرف من أمره خطاه وصوابه فلا يرى مندفعاً في
دون أن يراجع نفسه المرة بعد المرة ، قال في حجة الوداع لو
استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي وقال في عمرة
القضاء : فعلت اليوم أمراً ليتنى لم أك فعلته ، دخلت البيت فعسى
الرجل من أمتي لا يقدر أن يدخله فيكون في نفسه حزاة وإنما
أمرنا بالطواف ولم تؤمر بالدخول .

وكان إلى ذلك كله : نظيفاً جميل الملبس ، لا يرى إلا في أكمل
ملبس ومظهر .

فلماسأل في ذلك قال : إن الله يحب من أحكم إذا خرج
لإخوانه أن يتجمل لهم

ويقول أحد أصحاب الرسول أننا كنا نعرف خروج النبي
بروح الطيب .

ويقول أنس بن مالك : صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين
وشممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهة رسول الله ،
مارأيت شيئاً أحسن من النبي ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه
من النبي ، كأن الأرض تطوى له وأنا لنجهد وهو غير مكترث .
ولم يبلغ إنسان ولا زعيم نهاية الوفاء كما بلغه رسول الله
حين نادى في الناس قبل أن يقبض : أيها الناس من كنت جلدت
له ظهراً فهذا ظهري فليقتد مني ، ومن كنت شتمت له عرضاً
فهذا عرضي فليستقد منه ، ومن أخذت منه مالا فهذا مالي فليأخذ
منه ، ولا يخشى الشحناء فهي ليست من شأني .

ولقد جاهد رسول الله ﷺ في سبيل رزقه قبل الدعوة
بالتجارة ثم عاش في مال زوجته خديجة بعد البعثة ينفقه في الدعوة
ثم يسر الله له الأمر من بعد فآثر عنه قوله « وجعل رزقي تحت ظل رمحي »
هذه هي مظاهر الرجولة في رسول الله لم تكن يوماً من
الأيام كلاماً بل كانت (تنفيذية عملية) وبها صنع المجتمع الجديد
فجعله مثالا في الكمال والبساطة واليسر

العابد

« قل ان صلاتي وناسي ومحياي ومماتي
له رب العالمين »

لم تجتمع في (مصلح) ولا (نبي) ولا (قائد) هذه الصفات
التي تجتمعت في رسول الله محمد ﷺ ، فقد كان نموذجاً صادقاً
كاملاً للرسالة التي أرسله بها الحق تبارك وتعالى ، فكان عابداً
يقوم الليل حتى تتورم قدماه ، ويصوم من الشهر حتى يكاد
لا يفطر فيه ، ومع ذلك فهو يتزوج ويجعل لأهله وقتاً ولدعوته
وقتاً ويقول ان لبدنك عليك حقاً ولربك عليك حقاً ولأهلك
عليك حقاً ، هي حقوق منفصلة لا مشتبكة لا يغفل في توزيعها
ولا يحور أحدهما على الآخر ، كذلك كان ﷺ العابد الزاهد
والسيامي الحصيف ، والقائد الشجاع ، والاجتماعي اللبق ، والرجل
الكامل ، والمحدث اللسان ، والزعيم النابه .

هذا الجماع لنواحي البطولة والتبريز ، وهذا الشمول لكل
هذه المظاهر انما هو شمول الرسالة التي ختمت الرسالات والتي

جاء بها محمد ليكون خاتم المرسلين وإمام المصلحين والقادة وقادة
الزعماء والدعاة إلى الله بالحق .

وقد برز الرسول في هذه الجوانب جميعا حتى لا تكون
هناك حجة لمدع يوما من الأيام بأن الإسلام دين عبادة ولاهوت
أو دين صومعة ورهبانية وإن كانت العبادة واللاهوت جزء من
هذا الكل الجماعي الشامل الذى يتنظم ذلك النظام الاجتماعى
والاقتصادى والسياسى الذى يضم إلى عبادة الله والتدليل إليه
والعبودية له تلك العزة والرجولة وامتشاق الحسام أمام الخصوم
والاعداء وفى سبيل رعاية الدعوة وحماية الشعوب .

وقد وصل رسول الله فى جانب (العبادة) إلى أرقى درجات
العبادة المؤمنين ، وبلغ ذروة العبقرية فى السياسة والحرب
والبلاغة كذلك .

كان رسول الله مثالا عاليا للإيمان والعبودية والتجرد ، وقد
امتلكت الدعوة عليه حواسه وقلبه فصبر على الجاهل
والمتعنت ولقى الناس بالاقناع والحجة حتى انتام عيناه ولا ينام
قلبه ، وإذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذى يستيقظ .

ومن حشيشته لربه وشدة خوفه من عظمته نسب كل شيء إليه
ووصل نفسه به في كل أمره ، وكل حر كاته ، يذكره عند ما يستيقظ
وعند ما ينام وعند ما يمشي وعند ما يخرج من منزله وعند ما يدخل
المسجد وعند ما يعود وعند ما يسافر وعند ما يرجع وعند ما يلبس
قام الليل حتى تفطرت قدماه وقد سأل لم تصنع هذا يا رسول
الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا
أكون عبدا شكورا فإذا صلى بالناس خفف صلاته حتى يكون
أخف الناس صلاة ، فإذا صلى بنفسه أطال صلاته

ويقول عبد الله بن مسعود : صليت مع النبي ليلة
القيام حتى هممت بأمر سوء ، قيل وما هممت ، قال هممت
أن أجلس وادعه .

ويقول عبد الله حذيفة بن اليمان : صليت مع النبي ذات ليلة
فافتتح بالبقرة فقلت يركع بعد المائة ثم مضى فقلت يصلي بها
في ركعة فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح
ال عمران فقرأها ، يقرأ مر سلا فإذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا
مر بسؤال سأل وإذا أمر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي

العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه . ثم قال سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ، ثم سجد فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبا من قيامه ، رواه مسلم .

يصلى رسول الله لربه ويقوم الليل إلا قليلا وإذا حزبه أمر أكثر من الصلاة ، وإذا جاءه من له مصلحة قصر من صلاته . (٢) يعرف قدر ربه ويخشاه فيقول شيتنى هود واخوانها ويذكر كل انسان بموقفه عند ربه ولو كان له قريبا فيقول يا فاطمة بنت محمد سليني ماشئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا ، ثيق بالله فى موطن الشدة والبأس ، فلا تغره المظاهر ، يقول له أبو بكر وهما فى الغار : لو نظرنا تحت أقدامهم يا رسول الله لرأونا فيقول : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما : لا تحزن ان الله معنا .

يشكر ربه فى موطن النصر ، فيدخل مكة ساجدا على بعيره وهو يردد : لا إله إلا الله ، نصر عبده ، وعز جنده وخذل الأحزاب وحده .

يعود من غزوه أو سفره إلى المسجد فيصلّي لله ركعتين قبل أن يدخل منزله .

يذكر ربه في كل حال : فإذا عاد من السفر كبر على كل شرف وقال : تائبون أيّون ، ان شاء الله حامدون ، ربنا عابدون ، اعوذ بالله من وعثاء السفر وكابه المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال .

وإذا خرج إلى السفر قال : اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل وإذا بنى مسجده ارتجز :

اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة وإذا حضر الخندق ارتجز

اللهم لو لا أنت ما أهديتنا ولا تصدقنا ولا صليتنا فانزل سكينة علينا وثبت الأقدام ان لا Qinنا

وإذا رأى المطر قال : اللهم صيبا نافعا ، وإذا خاف ضرره

قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والآجام والظراب والأودية ومناكب الشجر

وإذا سمع الرعد والصواعق قال : اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك . وإذا رأى الهلال قال : الله أكبر اللهم أهله علينا

باليمن والإيمان والسلامة والسلام . ربني وربك الله ، هلال
خير ورشد .

ويقول المسافر : استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك
وإذا سري بالليل مسافرا : قال اللهم أطو له الأرض وهون
عليه السفر

قال جابر بن عبد الله أن الرسول كان يعلمنا الاستخاره
في الأمور .

وإذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،
وإذا رأى وجهه في المرأة قال : اللهم أنت أحسنت خلقي فأحسن خلقي
وحرمني وجهي على النار ، وإذا قال له إنسان (إني أحبك) قال (أحبك
الذي أحببتني له) وإذا أصبح قال (أصبحنا وأصبح الملك لله)
وإذا وقع له مالا يختاره قال : قدر الله وما شاء فعل ،
وإذا استصعب عليه شيء قال : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا
وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ،

وإذا لبس الثوب قال : اللهم اني أسألك من خيرة وفي خير
ما هو له وأعوذ بك من شره ومن شر ما هو له

وإذا خرج من منزله قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

وإذا قدم إليه الطعام قال (اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار)

وإذا دخل فراشه قال (باسم الله ربّي وضعت جنبي وبك أرفعه)
وهكذا لا تمر ظاهرة من ظواهر حياته صلى الله عليه وسلم إلا وهو متصل فيها بربه ، ذاكر له ، ملتزم منه جل وعلا الخير والتوفيق
(٣) قال أبو حميد الساعدي : « إذا كنت أحفظكم لصلاة رسول الله ، رأيته إذا كبر جعل يديه حزام منكبَيْه ، وإذا رفع أمكن يديه من ركبتَيْه ، ثم هصر ظهره فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل قفاز إلى مكانه ، فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما واستقبل باطراف أصابع رجليه القبلة ، فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى ، وإذا جلس في الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته ،

تلك صلاته ، أما ضجاعه فهو آدم محشو ليفاً قيل أن عائشة

كانت تفرش للنبي عبادة فجاء ليلة وقد ربعتمها فنام عليها ، فلما أصبح قال يا عائشة ما الفراش الليلة ليس كما كان ، قالت يا رسول الله قد ربعتمها لك قال فاعيديه كما كان ، وفي رواية انه منعني من قيام الليل .

(٤) ومع هذا القدر الرفيع من العبادة والاتصال بالله فقد كان يغضب ممن ينجحون الى العزلة والانقطاع والرهبانية ، وقد عرف غضبه ومعارضته لاحد أصحابه عند مالت نفسه للعزلة في مغارة بجانبها ماء وخضرة . وقال للذين مالوا الى الراهبانية والانصراف الى العبادة ، أما والله اني لاحشاكم لله واتقاكم له ولكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأنزج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ، وهكذا يجمع رسول الله بين التعبد لله في أرق مدارجه حتى تكون قرة عينه في الصلاة وبين أداء حقوق الانسان في الحياة من زواج وطعام ونوم كما اجتمع له أن يكون عابدا وسياسيا وقائدا .

ومن هذه الصور التي عرضناها من حياة « رسول الله » كما بدت ترى أنه بلغ ذروة الايمان بالله والتوكل اليه والرجوع

إليه ، وكانت لحظات حياته كلها وتصرفاته وحركاته مرتبطة
بربه والدعاء له .

ولم تكن هذه (العبودية لله) لم تكن عبودية الرهبان
والعالم كافرين في المغاور والكهوف ، وإنما كانت عبودية الرجل القوى
المتجهز للقاء العدو ، المراقب لحركاته ، الباث عيونه في كل مكان
لاستكناة أمره .

عبادة القوى لأعباده الضعيف ، يعرف ربه ويلجأ إليه ومعه
القوة والعدة ، ويدعوه حتى يسقط ردائه وكتائبه مصطفىه للقتال
فلا تنسيه العدة والسلاح حسن الالتجاء إلى ربه ولا يكتفى
بالدعاء عن اعداد ما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل يرهب به
عدو الله وعدوه . وليس هناك تعارض في الجمع بين العدة
والعبودية ، وإنما يكون التعارض في مقاييس العجزه الضعاف
الذين يرون الاكتفاء بالدعاء عن الاستعداد ، أو يسوقون
القوة المادية لغير ما ينبغي ان تساق ، وبغير التماس لعون الله .

الاجتماعى



برز رسول الله في رجواته ، فكان مثالا كاملا ، يقتدى ويحتذى ، وكانت رجواته عملية توجيهية .

وبلغ أرقى درجات التعبد ، ولكنها كانت عبادة القوى
الواثق بربه المستعد بالعتاد وليست عبادة التواكل والعزله .

والجانب الاجتماعى فى رسول الله جانب فياض ضخم ،
أظهر فيه معالم المشاركة الوجدانية والإيثار والتواضع حية
ناضجة بالقوة فهو كزوج وكوالد وكقائد ترى فيه تلك البشاشة
وذلك الانس واللين .

عندما ذبحوا الشاه . قال أحدهم على سلتها وقال الآخر على
طبخها فقال الرسول : وعلى جمع الخطب .

عمل مع الأجير والفاعل فى بناء مسجد المدينة ، والحنديق .
وتلك أعلى درجات (المشاركة) وهو الغنى برفيع مقامه بين
أصحابه عن أن يدعه أصحابه يعمل معهم ولكنه كان يسكره

أن يتفضل عليهم وقد امتنع عن قبول رأى على بن أبي طالب ومرثد ابن أبي مرثد الثقفي في أن ينزلا به عن حقهما في المشي في طريق بدر .

(٢) وعرف (بالتواضع) فكان يركب الخمار ويردف خلفه ويجلس حيث ينتهي به المجلس ويأكل مع خادمه ويركب الخمار بالأسواق ويمتقل الماء فيحلبها ، ويشرب آخر الناس ويقول ساقى القوم آخرهم شرباً ، وكان يزور خادمه انس في بيته ويتلطف مع في القول .

(٣) وعرف بالايثار فكان يوزع على أصحابه كل ماغلا من الغنيمة ويقنع بالقليل والحقن ، وبلغ في ذلك نهاية ما عرف من الكرم فإذا سأل أعطى كل مايملك وإذا سأل وهو مدم وعد ولم يزد وأحياناً يأتيه الرجل وما عنده شيء فيقول له ابتع على فإذا جاءنا شيء قضيناها ويؤثر من يدخل عليه بوسادته ويجلس على الأرض وينعم بمبائمه .

(٤) وبرز في آداب المعاشرة واللياقة ولطالما قال : انى لست ارضى لكم ما اسخطه انفسى ، ولم يفقه متفوق في حسن مقابله

للناس والاجتماع بهم ، فهو يلتفت بوجهه وجسمه ويصغى تمام الأصغاء . ويتحدث اليه من شاء فلا يقطع حديثه وان طال . ولا ينزع يده من يد محدثه حتى يكون صاحبه هو الذى ينزعها ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذى يصرف وجهه عنه ، وكان يتجمل لآخوانه إذا خرج إليهم وإذا غاب أحد من آخوانه ثلاثة أيام سأل عنه . ويخفف صلاته لمن ينتظره ولم ير مقدما ركبته بين يدي جالس له . ويقول (انس) خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لى اف قط ، وما قال لشى مصنعة لم مصنعة ولا لشى تركته لم تركته وتلك سجية الداعية والمصلح والنبي ، يتألف الناس بهذا الطبع الكريم السمع ، وبهذا الحلم الوفير ، وقد جمع رسول الله اليه القلوب بهذه المشاركة لاتباعه والسهر على مصالحهم ، وأشعارهم بقربهم إلى نفسه ومكانهم عنده وذلك جانب من عبقرية القيادة ونبوغها وتقديرها لاتباع وسياستهم باللين فى مواضعه والشدة فى أوقاتها حتى يستقيم الأمر ولا يفلت الزمام وهو القائل فى شأن الصحبة والرفقة والتلطف فيهما

« ما صاحب مسلم صاحباً ساعة من نهار إلا سال عن صحبته يوم
القيامة »

(٥) وقد حرص الرسول على أن يكون اتصال الناس
ببعضهم في أمر المعاملات رفيقاً لينافيه عدالة وسلامة، ولقد غضب
على عمر عندما نهر الرجل الذي جاء يطالب الرسول بدين عليه،
وقال له : أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج : أن تأمره
بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن القضاء .

وتلك مزية الاجتماعى المطبوع والزعيم اللبق . يسبق حله
غضبه ولا يزيد شدة الجهل من أحد عليه إلا حلماً .

وهو إلى ذلك مثالا للأنطاقة والتزين والتجمل وقد أوصى
بها وقد أثر عنه قوله (اغسلوا ثيابكم ، وخذوا من شعوركم
واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فإن بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون
ذلك فزنت نسايتهم) وفى هذه الحكمة ما فيها من دقة الملاحظة ،
ومن رفعة الاسلام عن أوضاع بعض المتمخرفين وحمله الرقع
والأدلاق .

وجمع الرسول إلى هذا المعنى دقة الاحساس الاجتماعى فى

صلة الرجل بزوجته فقال (إذا دخلت ليلا (من السفر) فلا تدخل على أهلِكَ حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثه ، الكيس الكيس ١) وتلك براعة الفاهم الحصيف لعلاقات الرجل والمرأة وأثر المفاجئات الغير منتظرة ، فى موقع المرأة من زوجها .

وهو لذلك كان حريصا ان يقرع بين نسائه إذا خرج فى سفر فايها خرج سهمها خرج بها ، حتى لا يغضب احداهن .

وقد تحرى العدل بين زوجاته إلى ابعد حدوده ، وقال :

« اللهم هذا قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك ،

وقد بلغ فى هذه العاطفة الاجتماعية مع زوجاته إلى أن

سابق عائشة فسبقتها مرة وسبقها مرة أخرى .

ونفذت بصيرته الاجتماعية الفاهمة إلى أدق الأمور التى

تقوم بين المرأة الرجل فآثر عنه انه قال للمرأة التى تحتن الجوارى :

يا أم حبيبة إذا فعلتى فلا تنهكى فانه اسرى للوجة وأحظى عند

الزوج . ولم يمنع ذلك من أن زوجاته كن يراجعنه حتى يظل

طول يومه غضبانا .

(٦) ولم يعب الرسول طعاما قط : إذا اشتهاه أكله وإذا

كرهه تركه ، ونظم الاوضاع الاجتماعية في قواعد بسيطة سهلة
شاملة حين أوصى بأن لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه .
وإذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث . ويسلم الركاب
على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير .

(٧) وأوصى في أمر الخدم والعبيد وصاياا كريمة ، هي
النموذج للمشاركة الاجتماعية فقال : إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه
فإن لم يجلس معه فليتناوله لقمة أو لقمتين . وقال هم أخوانكم
جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما
يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فإن
كلفتهم فاعينوهم .

وبذلك بلغ الرسول مبلغا لم يرق اليه مصلح اجتماعي من
أصحاب المذاهب فكيف بأصحاب الدعوات التنفيذية التطبيقية
وهل يمكن أن يكون في مذاهب الديمقراطية أو الشيوعية
مثل هذه القوانين التي تقتل الفوارق وقيم بين الناس أسباب
الود والحب ، وتقوى أواصر الاخوة والاخلاق .

وهل أثر عن زعيم من هؤلاء المتزعمين أنه أكل مع خادمه
أو زاره في بيته أو قال ما قال محمد حين أراد أنس أن يحمل له

سراويله من السوق : أن صاحب الشيء أحق بشيئته أن يحمله وهل
عرفت الدنيا يوما ، ذلك المثل الذى ضرب به الرسول لابنته فاطمة
حين جاءت تطلب خادما مما اشتكت من الرحى وهو فيما يروى
على ، فجاء النبي فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال على
مكانكما : حتى وجدت برد قدميه فى صدرى فقال ألا أدلكما على
خير مما سألتمانى إذا أخذتم مضاجعكما فسيبعا الله ثلاثة وثلاثين
وحمداه ثلاثا وثلاثين وكنبراها اربعا وثلاثين فان ذلك خير
مما سألتما ، وفى رواية وكيف أعطيكما وأترك أهل الصفة على ما هم
عليه من الجوع .

تلك لعمرى سجايا بليغة فى القدرة النفسية على فهم أمور
المجتمع والخصوص فى أعماقه وحل مشاكله لم تتح لزعيم من الذين
يفرضون انفسهم على دنيا السياسة والدول فى هذه الأيام .

وهى صورة صادقة لمن أراد الزعامة الاسلامية ، ومعالم
صحيحة للانسان الكامل الصالح لأن يعيش فى المجتمع ، يشارك
الناس ويعقد معهم أواصر الصداقة والمودة من غير أن يطغى
ذلك على مبادئه ، بل ليكون منه عوناً له على انفاذها إلى قلوب

الناس وكسب الاعوان لها والانصار

القائد

عرضنا للجوانب الانسانية الثلاث « رجولة » ، « عبادة » ، « اجتماعية » ، في رسول الله ﷺ ، فلم نرها في شخصيته الا مثالا للكمال والسمو ، وبقيت للرسول جوانب من أبرزها جانب (القائد) الحربي ، وهو الجانب العسكري ، المتصل بالجهاد والحرب وتدبير المعارك وقذف الكتائب في نحر العدو ، وهو تعبير (عرفي) يقصر أمره في نظر بعض الناس على النواحي الحربية والعسكرية ، ولكنه في الواقع أكثر شمولاً ، إذ يطلق على الرعامة عامة ويشمل القيادة في السلم والحرب ، ويعني التوجيه والارشاد والإمامة للاتباع والانتصار ، باعتبار هذه (الإمامة) رباط قوى متين بين القيادة والاتباع والجنود يتصل بكل دقائق الصلات والعلاقات بينهما مما سنفصله في مكانه من كتاب (القيادة)

برزت القيادة الحربية بعد أن فرض القتال ونزل أمر الله به (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن على نصرهم لقدير) فرض القتال بعد الاستعداد والتأهب ، وبعد الهجرة

وقد عرف عن رسول الله ﷺ من البراعة الحربية ما لا يزال مثلاً عالياً في العمل الحربي الذي يحتذى ويقلد، والذي يبهز الأبصار، ويملا النفس إعجاباً وتقديراً لهذه القدرة الانسانية العبقريّة على تصريف أمور الحرب وهي من أخطر الأمور، وأجلها .

لم يكن رسول الله ﷺ محباً للقتال أو راغباً فيه، ولطالما حرص على أن يحصل على أعظم النتائج بأقل التضحيات؛ ولم يكن يلجأ إلى الحرب إلا عند ما تنفذ من بين يديه وسائل الدفاع جميعها، ولطالما قال المسلمون (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية) .

بلغ ذروة الشجاعة فكان إذا اشتد الوطيس وحمى الباس واحمرت الحديق اتقى الناس برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، وفر الناس من حوله في (حنين) وهو ثابت لا يريم، يهزأ بالحوادث ويهتف (أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب) عرض عليه الانتصار بالمشركين وهو في قلة وحاجة إلى رجل واحد فابى وقال : لا انتصر بمشرك وتلك عبرة القائد

الوائق بصدق دعوته ونصر ربه فلا يستعجل الأمور ولا يتزيد
بالناس وجاهة أو قوة : وإنما يعرف أمره ويحصره في الخلاء
من الاتباع المبايعين على السمع والطاعة فيكون واثقا من أن
مركزه بيده لا بيد قوى مشترك قد يحلوه أن ينصرف ويدعه
في أخرج الأوقات . ولطالما أعجب بعض اتباع الدعوات بأناس
لهم أسماء لامعة أو مرا كيز ضخمة وسرهم أن يروهم يتقربون
منهم ولكنهم ندموا من بعد عند ما خدعوا في هذه المظاهر
التي أقدمت لغرض فلم تخلص وجهها لله ولا للحق .

عرف القائد بالشورى لأصحابه ، ولكنه عرف بالحزم عند
ما لبس المسلمين في أحد ورجع المسلمون عن رأيهم في الخروج
إلى الاعتصام بالمدينة فقال لهم في حزم : ما ينبغي لنبي ليس لامته
أن يضعها حتى يقاتل

وضع لكل أمر قدره وميعاده في اتزان وحكمة . طلب إليه
أهل بيعة العقبة الكبرى أن يميلوا بأسيا فهم غداة البيعة على أهل
مكة فقال لهم لم تؤمر بقتال

عجم عيدان أتباعه ، ودرس خصائصهم ، وميزهم على قدر

عزائهم وأرسل على رؤوس السرايا رجال فيهم مناعة خاصة :
قال لعبد الله بن جحش عند ما أرسله على رأس السرية : إني
استعملتك على هؤلاء النفر فامض ، حتى إذا سرت ليلتين فانشر
كتابي ولا تذكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك
وامض لأمرى فيمن اتبعك حتى تأتي بطن نخلة ترصد بها غير
قريش : ثم قال لأصحابه إني استعملته عليكم لأنه أصبركم على
الجوع والعطش

وفي هذا التوضيح معان . أوامر مختومة تفض في أماكن
معية ثم امتحان للرجال ، لا اكراه فيه ، ثم تقدير لأمر فيه صفة
خاصة من الصبر على الجوع والعطش ، ثم عمل منظم .
عرف عنه الكتمان والتورية والحيلة كأن يقصد جهة
ويورى بأخرى ..

يتجهز لفتح مكة فيكنم الأمر عن أقرب اثنين اليه : عائشة
وأبو بكر ، بث عيونهم وأرصاده في كل مكان فكان يعلم الأمور
قبل أن تقرر وكان يرسل سراياه إلى من يدبرون له أمر
قبل أن يعدوه .

بلغ من حرصه وخيفته من غدر قريش أن جهز مائة فارس
في عمرة القضاء ، جعل على رأسهم محمد بن سلمة ، وبعثهم طليعة
له على ألا يتخطوا حرم مكة .

عرف بالنظام والترتيب الحربى الدقيق . درب السرايا
وأرسلها فلما اشتد ساعدها تقدم بها إلى معركة ضخمة . وأرسل
للجيش قائد وخليفة له لو أصيب قائده وثالث يخلف الثانى وقال
أمير الناس زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبى طالب ، فإن قتل
فعبد الله بن رواحة ، وإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلا
يحملوه عليهم .

يستعرض الجيش ويعرض المقاتلة ويسوى الصف ويرد
صفار المحاربين ، يخرج إلى الغزاة فيستخلف على المدينة
ويستخلف على الصلاة .

إذا غزا قوما خرج فى رجاله فلا يظهر وجهها ويغد السير ،
ولا يغير عليهم حتى يصبح ؛ فإن سمع أذانا أمسك ، وإن لم
يسمع أغار .

بلغت به البراعة الحربية والحاسة العسكرية مما لم تبلغ
فى قائد من قبل يتفرد لقيادة الجيوش دون أن يكون له رسالة
أو زعامة أو دعوة .

سأل عن المشركين يوم بدر فلم يعرف من سائله ما يريد ، فقال له : كم يذبحون ، قال يوما تسعا ويوما عشرا فاحرز أن القوم بين التسعمائة والآلاف . عند ما هزم المسلمون في أحد ، وفرت قريش ، قال يأسعد اتبعهم فإن ركبوا الأبل فهو الظعن وإن ركبوا الخيل فهي الغارة .

الثقة بنصر الله ، والثقة بالنفس والتعرض للموت والبذل والفداء ، كانت من نتائجه أنه انتصر دائما بالقليل من جنوده على الكثير من خصومه وشعاره . لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . يقاتل فلا يلتفت وراه . يقول لو لا أن أشق على أمتي ما قعدت خلاف سرية تغزوا في سبيل الله ولوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل .

لجأ إلى ربه في بدر حتى سقط رداؤه عن كتفيه ، ولما فتح مكة ورآها لا تقاوم ؛ استوقف كتابه ووقف على راحلته وانحنى لله شاكرا

الحكمة في أمر الجنود : لما كان بالسكينة في فتح مكة بين

الظهر والعصر : أخذ أناء ماء في يده حتى رآه المسلمون ثم أفطر
في تلك الساعة وقال انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم ،
وبلغه أن قرما صاموا فقال : أولئك العصاة

تلك لمحات من عبقرية الرسول الحربية وهذا اجمال لها له
تفصيل في كتاب (أيام الله ومغازي الرسول) تدل على مدى
تلك الخبرة والقوة والسداد في أجل أمور الدعوة ،
ومواقفها الفاصلة .

فقد أوتي رسول الله القدرة الكاملة على توجيه الأمور
وتعريفها بما أم يؤت أحد ، وبما سجل التاريخ من صور لا تزال
عدة المجاهد ، وسبيل النصر .

الخطيب والمحدث

من أبرز أسلحة الدعوات الخطابة والكتابة والحديث ،
وقد ووري عن رسول الله جانب الكتابة لحكمة عليا في تنزيل
القرآن وما كُنت تتلوا قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا
لارتاب المبطلون ،

وقد بلغ رسول الله في جانب الخطابة والحديث مبلغا أزرى
عظماء العرب وبلغائهم . لقد كانت بلاغة رسول الله وقوة
بيانه تختلف اختلافا بيضا عن بلاغة من سبقوه ، إذ أنها لم تكن
بلاغة الكتاب أو الخطباء أو الشعراء أو المتشرفين بالكلام في
خلق الكعبة أو أسواق عكاظ وغير عكاظ ، وإنما كان كلام
الداعية : كلام المصلح صاحب الرسالة والهدف ، الذي لا يلقي
الكلام على عواهنه ، ولا يطلقه تفيها أو تطاولا أو استعلاء على
الناس أو إبرازا للقدرة البلاغية ، وإنما كان كلام الحريص
المدقق ، الذي يعرف ماذا يقول ، والذي يضع كلامه في موضعه
فهو يوجه كلامه إلى أنصارة أو خصومه واسكل من هؤلاء

أسلوب لا يتعدى الحق أو يخرج عنه واسكنه على كل حال كلام القيادة الدقيقة البقطة .

وقد عرف في رسول الله حسن توجيه القول بحيث لا يخرج به انسانا وبعممه فلا يخص به من يقصده به ، ويتبسط في القول ليقترب إليه القلوب ، ويلين لأصحابه واتباعه في مواضع اللين ويشدد على خصومه في مواقف الشدة والحق التي لا مناص فيها من الشدة والحزم .

البلاغة والحديث اللبق سلاح من أسلحة الدعوة فقد نشر الرسول دعوته بالاقناع وبلغ ذلك حداً بعيداً في السجال بين الرسول وبين اليهود في مكة ، وقضى رسول الله ثلاثاً عشر عاماً وسلاحه القول والكلام وأهل مكة بله جزيرة العرب كلها أهل لغة وبلاغة ولسان الكلام سلاحه ، والكلام المتميز بالسهولة والبساطة ، الالفاظ على قدود المعاني ، السهل الممتنع

البلاغة في البساطة التي تقرب المعنى إلى الأذهان دون أن تبذل به ومع ذلك فقد حرص الرسول على التذكير بسحر البيان وخطره فقال : ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ، الذي يتخلل لسانه تخلل الباقرة بلسانها .

وبوصى رسول الله بالكلام وخطره وأثره فيقول من
تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم
القيامة صرفاً ولا عدلاً ، ويقول وهل يكب الناس في النار إلا
حصائد السنتهم .

وحرص على استعمال القول في مكانه حتى عرف عنه
الصمت والقليل من الكلام وبجافاة اللغو والتكرار .
وإذا خطب أحمرت عيناه ورفع صوته واشتد غضبه كأنه
منذر جيش - بعد عن العي والعجز والقصور ، وبلغ الذروة في
وضوح الجواب ونصاعة الحجّة ، وفصاحة اللسان ، وإيجاز
الكلام ، وجزالة الالفاظ وتقول عائشة : ما كان رسول الله
يسرد كسر دكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل لو عدم
العاد لأحصاه .

يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم ، فصلاً
لا فضول فيه ولا تقصير ، ولا عجب في بلاغة الرسول ولا غرابة
فقد سأله أبو بكر : لقد طفت بالعرب وسمعت فصحاءهم فما
سمعت أفصح منك فمن أدبك : قال الرسول أدبني ربي فأحسن
تأديبي ولا عجب فقد نشأ رسول الله في بني سعد وولد في قريش

ونزل القرآن على لسانه . فجمع بين جزالة البداية وبين القدرة على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها قحطانها ، وعدنانها ، وحجازها ، وتهامها ونجدها .

اين هذا من متزعمين اليوم تجهز لهم الخطب وتكتب ومع ذلك يتعثرون في قائمها ولا يعرفون معانيها .

وقد أوجز الجاحظ بلاغة الرسول وقدرته البيانية في عبارات رائعة قال : « ألقى الله على كلامه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له من المهابة والحلاوة وهو مع استغنائه على إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زالت له قدم ولا بارت له حجة ولا قام له خصم ولا أخمه خطيب . بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس أسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتاج إلا بالصدق ، ثم لم يسمع الناس بكلام اعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا من كلامه ﷺ ، وتفصيل القول في بيان الرسول مكانه في كتاب حديث الرسول وبيانه ،

الزعيم السياسي

جمعت بين الزعامة والسياسة في الحديث عن رسول الله ﷺ
الزعيم والسياسي لعدة أمور يتعلق بعضها بسعة جوانب الشخصية
المحمدية ، سعة تنتظم الكثير من الصفات والوظائف . ولأن
الزعامة النبوية قد امتزجت بالسياسة كما امتزجت بالدين ، فلم
يمكن رسول الله من شيء دين فحسب ولسكنه كان أيضا مؤسس
دولة . وقد أتيج له أن يشتغل بالسياسة في صورها العليا اشتغالا
دل على لباقة وقدرة وحصافة لم تتأني لسياسي من بعد
اشتغل بالسياسة الواضحة الصريحة ، فأرسل الوفود وعقد
المعاهدات والعهود ، ونظم الدولة ، ووضع قواعد النظام الاجتماعي
والقضائي وقام عليه . ولم يعرف لعهد ما يسمونه اليوم بالزعامة
الدينية منفصلة عن الزعامة السياسية .

وإذا كان رسول الله في شخصيته الفردية قد جمع صفات
العابد والاجتماعي والمحدث فقد كان رسول الله بشخصيته العملية
زعيمًا وسياسيًا ومحاربًا وقد كانت شخصيته الفردية في ذاتها

قواعد هامة في شخصيته العملية كذلك ، فقد كانت بلاغة المحدث ولباقة الاجتماعي وإيمان العابد من أدوات المهمة التي تجرد لها ﷺ واخذت منه حياته كلها ووقته جميعه من اقطارها فكانت شمائله الخاصة عدة صادقة في سبيل انفاذ رسالته ووسيلة من وسائل النجاح فيها .

وقد عمد القرآن إلى توجيه هذه الناحية السياسية بالاضافة إلى الجوانب الاخرى فاثبت في صميمه قواعد للتصرفات السياسية بلغت حداً كبيراً من الدقة والنفاد .

وقد استعملت لفظ الزعامة هنا لكي أصل إلى تثبيت هذا المعنى السياسي بالذات وكنت اعتقد ان لفظ القيادة اشمل منه ، لقصور لفظ الزعامة في العصر الحاضر على السياسة فحسب . وهو جانب واحد من جوانب التعبير في شخصية رسول الله الجامعة الشاملة



برز معنى الزعامة في شخصية رسول الله ﷺ بروزاً واضحاً فقد اوتي من القوة والوجاهة واليقظة واللباقة والفراصة قدراً ليس بالقليل ولا بالمتوسط وزاده تميزاً عصمة الله له وتوفيقه اياه . ولقد وصف لذلك بأنه من رآه بديه هابه ، ومن خالطه

معرفة أحبه واستتبع ذلك ان اختاره العرب على أهلهم وهاجروا معه . وقد عرف باحكام التصرف ، وأعطى السكينة الباعثة على الهية وامده الله بحسن القبول فوافقتة القلوب وانقادت له النفوس وجمع إلى ذلك صدق الفراسة ورجاحة العقل وحصنة وافرة من الدهاء فما استغفل في مكيدة ولا استعجز في أمر .

وبلغ أعلى مرتبة بلغها زعيم فشهد له خصومه بالصدق والأمانة ورقى إلى أوفى درجة من الاشعاع النفسى والتأثير الروحى فاجتمع له الناس المختلفون مراجعا وخصالا وتربية وثقافة .

واستطاع أن يحول الطبائع بعد أن وصلت إلى درجة الاستقرار ، فأصبحت عجينة مرنة سهلة التحول والتشكل بعد أن طال بها عهد الجاهلية بوراثياته وتغرضاته .

أتصف بالسكينة فمن رآه بداهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن ينطوى لأحد منهم على سوء ، يتغافل عما لا يشتمى ، ولا يواجه أحد بمكروه ، وإذا أراد أن يوجه نقدا عممه ولم يخص به .

منى بحفوة الأعراب فلم تقع منه بادرة وما روى له التاريخ

عشرة أو هفوة، وصل من الزعامة الكاملة الى أبعد أسواطها
وأعلى مدارجها .

أوتى شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام
داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورحمة عيسى

عرف بالتمسك في الصبر والثبات على الشدائد والقدرة على
تجنب عواقب الأمور، والأعراض عن زخارف الدنيا فقد زهد
فيها واكتفى بالبلاغ منها ، وقال انما معاشر الانبياء لا نورث وما
تركناه صدقة تواضع للناس وهم أتباع وخفض جناحه للمؤمنين
وبلغ غاية الحلم ونهاية الحكمة .

أحسن صحبة أعدائه ، وعنى بأمرهم ، فعفا عن أبو سفيان
وجعل له في فتح مكة مكانا يليق برعامته ولم يسلبه إياها ، ولم يقبل
مشورة عمر في قتل ابن سلول وكفنه بقميصه وصلى عليه

قام أمره على الثقة بنصر الله وتأييده وعلى الحذر المتصل
واليقظة الكاملة ، بلغ مبلغه من الظفر والتمسك وظل ينام على
الحصير حتى تؤثر في جنبه وايس في خزائنه إلا قبضة من شعير
وبقى مكثفيا بالقليل من الطعام والخفيف من الثياب

وبلغ ذروة الثقة بدعوته والاصرار على حقها فرفض قوله
عمه وهو في أشد حالات الضعف، لم يقبل المساومة ودعوته في
حاجة إلى نصير واحد، عرض عليه بنوشيدان عروضاً وكانوا
يزيدون على الآلاف : فقال لهم لقد قلتم فاحسنتم ورددتهم فاجهلتهم
الرد ولكن دين الله لا ينصره إلا من أحاطة من جميع نواحيه
وبلغ ذروة الثقة بربه في نصر دعوته

وعرف أمور الناس فقال انزلوا الناس منازلهم ، خياركم في
الجاهلية خياركم في الاسلام ، وفهم سرائر الناس وداراهم وأثر
عنه قوله : إن الله أمرني بمداواة الناس كما أمرني بالفرائض :
وقوله لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإنني أحب
أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر

وهب القدرة على فهم الرجال والاتباع فوضعهم في المواضع
التي يصلحون لها . جاءه أبو بصير مسلماً فردّه مع من جاء يأخذه
فلما مضى قتله في الطريق ورجع ال الرسول مخبراً بأمره وأمر
صاحبه فلما انصرف قال الرسول معجبا به : ويل أمه مسعر
حرب لو كان معه رجال . . وتحققت فراسة الرسول وفهمه
للرجال . أوتي القدرة على فهم بواطن الأمور . لما وصلت

« القصواء ، الحديدية بركت وظن المسلمون أنها جمدت ، ولكن
الرسول بما أوتي من قدرة على اكتئاف بواطن الأمور قال : إنما
حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعوني قریش إلى خطبة
يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها

أوتى العفو : عفا عن أهل مكة بعد أن قدر عليهم ، وصفح
عن اضطهاد ثلاثة عشر عاما ، وعفا عن أهل الطائف بعد أن
ردوه ردا غير جميل وأعاد لها سباياهم وكانت ستة آلاف ،
وتألف قلوب بعض المسلمين بأضحى قدر من ألبيه فى أول
غزاة بعد فتح مكة .

أوتى الشجاعة : فزع أهل المدينة فانطلق الناس يبحثون عن
الصوت فلقى بهم رسول الله راجعا وقد سبقهم وابتدر الخبر على
فرس عرى والسيف فى عنقه فاستقبلهم ذاهبين وهو راجع فقال
لهم : ان تراعوا .. ان تراعوا ..

وظل فى مكة بعد أن أذن لأصحابه فى الهجرة الى المدينة
حتى كان من آخرهم هجرة

تقرب القلوب اليه ، فربط بينه وبين رجاله الأربع الأول
بالمصاهرة ، فتزوج بنتى الصديق والفاروق وزوج اثنتان من

من بناته الى عثمان وواحدة الى علي .

أوتى الصبر ، قاحنمل مسامة قريش طويلا ، ودعا الى الله

فلم يسلم له في ثلاث سنوات إلا أربعين رجلا

لم يعتمد في دعوته ولا في زعامته على الخوارق والظواهر

العينية فلما كسفت الشمس عند موت ابراهيم قال (إن الشمس

والقمر ايتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد)

عرف بالكياسة واللباقة : فلما اجديت أرض مكة تخير

الأرض الخصبة ويبحث عنها في الحبشة والطائف ثم استقر في

المدينة لما عرف من صلاحيتها

ومن كياسته أنه لم يقبل عند دخوله المدينة دعوة القبائل

والبيوت حتى لا تتميز إحداهما بضيافته والسبق في دعوته اليها ،

فكانت كل قبيلة تناديه ﷺ : يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة

والثروة فيقول لهم خيرا فإذا قربوا دابته قال دعوها فإنها مأمورة

يقول رسول الله في أشد ساعات الحرج والله ليتمن الله

هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف

إلا الله والذئب على غنمه

يقول له عمر : قد أثر في جنبك هذا الحصير وفارس والروم

قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال إني
شك أنت يا ابن الخطاب : أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم
في الحياة الدنيا .

عرف بالتواضع : دخل إليه الرجل يرتعش فرقا وخوفا فقال
له : هون عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش
كانت تأكل القديد بمكة .

أوتى اشراق النفس والتفاؤل وسرعة البديهة ، مر مع
أبي بكر وهما في الطريق إلى فتح مكة بكلية تهر فلما دنوا منها
استلقت على ظهرها فإذا اثداؤها تشخب لينا فذكرها أبو بكر
فقال الرسول . ذهب كلهم وأقبل درهم ، هم سائلوكم بأرحامهم
وأنتم لا فون بعضهم ، فإن أقيم أبا سفيان فلا تقتلوه

جمع القلوب بأرضائها بعد أن بهرها بقوته : كذلك فعل
مع أبي سفيان إذ أشار على العباس أن يقف به إلى جوار الطريق
حتى يرى ركب فتح مكة ، ثم لما أسلم تحت تأثير أرهاص هذه
الحملة الجبارة ، جعل له الرسول ما يريد من الفخر ، وما يتناسب
مع مكانه في زعامة قريش وجعل داره في مكة كالمسجد من
دخلها أيهما فهو آمن .

أوتى العفو : فعفا عن أهل مكة بعد أن قدر عليهم وأغضى عن اضطهادهم لأصحابه وله ثلاثة عشر عاما وعفا عن أهل الطائف بعد أن ردوه ردًا غير جميل ووهبهم ستة آلاف من سباياهم، وتألف قلوب العتاة الشداد من المنافقين بعد أن أسلموا فأبلغ هباتهم في حنين مبلغ ضخمًا أخرج صدور الأنصار .

أوتى النفس اللماحة النفاذه إلى خبايا الأمور وفهم الاتباع : أرسل عبد الله بن جحش وقال لأتباعه في سرية ليس يخبركم ولكنه أصبركم على الجوع والعطش

عرف لنفسه قدرة على أصحابه وعرف أصحابه قدرة عليهم ويقول في ذلك ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة أقروا أن شئتم : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإيما مؤمن قد مات وترك دينًا فعلي . .

وعرف أصحابه قدره فأحبوه ، واسلموا أمرهم إليه مخلصين يقول أبا سفيان للرجل وهو يعذب : هل تحب أن تكون في

أهلك وإن يكون محمد مكانك ، قال والله لا أحب أن تشوك
رسول الله شوكه وهو في مكانه .

وتقول قريش لعثمان عندما احتجزته في الحديبية طف أنت
بالبيت ان اردت ، فيقول والله لا أطوف بالبيت قبل رسول
الله وقد بلغت ثقة الاتباع بالقائد حدا لا يبارى حتى قال أبا
سفیان : مارأيت أحدا يحب أحداً كما يحب اصحاب محمد محمداً
وقد احتمل اتباع رسول الله العذاب والالام في صبر
واطمئنان ثقة بالله واتباعاً للقائد .

لم يتميز على أصحابه وشاركهم في أمرهم كاه فبنى في المسجد
وحفر في الخندق ، وركب مرحلة في بدر ، وشارك أصحابه في
جمع الخطب ، فإذا قيل له قد نزلنا لك عن نصيبنا في ركوب
الدابة : قال ما أنتم بأقوى مني وما أنا بأقل حاجة إلى الاجر
منكم وإذا قيل له تكفيك العمل ، قال قد علمت أنكم تكفوني
ولكن أكره أن أتميز عليكم والله سبحانه وتعالى يكره من
عبده أن يتميز عن أصحابه .

أوتى من دراسة الطبائع وفهم نفسيات الناس قدراً كبيراً
وعامل كل صاحب من أصحابه على ضوء هذا الفهم الدقيق النافذ

دخل أبو بكر على رسول الله وهو مضجع وعليه ثوبه
فقضى حاجته وخرج ، ودخل عمر فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء
على فقضى حاجته وخرج ، ثم جاء عثمان فجلس له رسول الله
ﷺ : فقالت له عائشة لم تصنع هذا باحد فقال أن عثمان رجل
حي ، وإنى خشيت أن آذن له على تلك الحال إلا يبلغ إلى في حاجته
قال له أبو ذر : يا رسول الله لا تستعملني : قال فضرب بيده
على قلبه ثم قال يا أبا ذر انك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم
القيامة خزى وندامة إلا من أخذها ويحفظها وادى الذى عليه فيها
وهو القائل عن معاشر الأنبياء : أمرنا أن ننزل الناس
منازلهم وإن مخاطبتهم على قدر عقولهم ، وهو القائل الناس كابل
مانه لا تجرد فيها راحلة .

ملئ قلبه بالرحمة والآن الله جانبه فاجتمعت إليه القلوب ، فبما
رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا
من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا
عزمت فتوكل على الله ،

يقول بديل بن هاشم مبعوث فريش فى الحديبية إلى الرسول
وأصحابه عند عودته إلى قريش : يا قوم : قد وفدت على كسرى

وهز قل والنجاشي ، واني والله ما رأيت ملكا اطوع فيمن هو بين
ظهرانيه من محمد في أصحابه، والله ما يسددون إليه النظر، وما يرفعون
عنده الصوت ، وما يكفيه الا أن يشير الى امرئ فيفعل ،
وما ترضأ من وضوء إلا أزدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء ، وقد
حرزت القوم ، واعلموا انكم ان أردتم السيف بذلوله لكم ، وقد
رأيت قوما لا يباليون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم .
أوتى الشخصية العملية ، واستطاع تنفيذ أمره دون أن يلتجأ
إلى اظهار السلطة .

وأوتى الجرأة ، فسفه أحلام قريش وطعن في أربابهم وليس
له من الحول والقوة شيئاً وناهض رأى عمه وليس معه إلا
قليل من الأنصار .

وعرض عليه الانتصار بالمشركين وهو في قلة وحاجة إلى
رجل واحد فأبى .

أوتى الذهن المرتب المحدد ، فكان يصنع لكل أمر حدودا
يقول : في الفارق بين الشجاعة وضبط النفس : ليس الشديد
بالصرعة ، وليكن الشديد من يملك نفسه وقت الغضب .

ويقول عن الرجل المستقل الرأي : والمعدوم الرأي :

لا يكون أحدكم إمعه ، يقول أنا مع الناس ، أن احسن
الناس احسنت وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا انفسكم إن
أحسن الناس ان تحسنوا وان أساءوا أن تحتبوا اسائتهم

بلغ في حسن معاملته للناس حدا كبيرا ، دون أن يضحى
بشيء من مبادئه ومع التوجيه والاعداد ، يصبر للغريب على
الجفوة في منطقته ومسألته .

يسوى بين الناس في النظر والاستماع . جمع له الحلم والصبر
إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى يفهم عنه ، وإذا أتى قوم
فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا .

قال بعض الوفود ، أنت سيدنا وذا الطول علينا . قال :
السيد الله قولوا قواكم ولا يستجرنكم الشيطان .

وقد بلغ في تألفه للأصحاب والاتباع : أنه ما جلس إليه أحد
إلا ظن أنه أقرب الناس إلى نفسه .

يقول إذا اذاع أمرا ، لتبلغ الشاهد الغائب ، ويوصى بأن
تحمل إليه أمر من لا يستطيع رفع حاجته . فيقول : ابلاغوني حاجة
من لا يستطيع ابلاغ حاجته فإنه من أباح سلطانا حاجة من
لا يستطيع ابلاغها إياه ثبت الله قدمه يوم القيامة .

أوتى الكياسة السياسية ، والبراعة الحربية
يقول لنعيم بن مسعود عند ما جاءه مسلماً في الأحزاب ، عبارة
قصيرة فيها كل كياسة سياسي وبلاغة الزعيم ، وخذل عنا
ما استطعت ،

يقف قبيل بدر ، فلا يبرحها حتى يستشير الناس ويقصد
الأنصار وهو يعلم أنهم بايعوا في حدود مدنياتهم العذراء ،
والموقف يخرج عن حدود بيعة والعقبة ، وتلك كياسة سياسية ،
قل أن تكون براعة حربية .

ومن كياسته السياسية أنه لما وزع الغنائم في حنين على
المهاجرين دون الأنصار ، قال الأنصار ، قد عرف النبي أهله
وقومه فجمعهم في الحظيرة وصفي نفوسهم حتى استدمعوا وثابوا
وعرفوا أنه إنما تألف بها قلوب ووكل الأنصار إلى إيمانهم

من براعته السياسية أنه أبقي على (ابن أبي) فلم يقبل رأى عمر
في قتله حتى انكشف أمره للناس فكان قومه أول من أخذه
بالعنف إذا أحدث أمراً حتى قال الرسول لعمر يوماً : كيف
ترى يا عمر : أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لارعدت له أنف
لو أمرتها اليوم بقتله لقتله قال عمر ، قد والله علمت أن أمر رسول
الله أعظم بركة من أمري . أوتى سعه الأفق : صلى على عبد الله ابن
أبي وأعطاه قميصه ولما اعترضه عمر قال : أخر عني يا عمر : لو

أعلم انى لو استغفرت لهم أكثر من سبعين مرة غفر لهم
لاستغفرت لهم .

حرص على مظهر القوة لأصحابه ودعوته ، عند ما جاء مكة
فى عمرة القضاء اضطبع ﷺ بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال
رحم الله أمرا أراهم اليوم من نفسه قوة ليكون ذلك رداً عملياً
على قالة قريش بأن حمى يثرب قد انهكتهم

عامل الناس على مكانهم من دعوته . جاءه المخلفون من
المنافقين فجعلوا يعتذرون اليه ويخلفون له فقبل منهم علانية
وإيمانهم ووكّل سرائرهم الى الله ولم يقبل من المؤمنين عذرهم ،
وأمر بمقاطعتهم وأن ينفصلوا عن زوجاتهم حتى ينزل فهم أمر الله
عرف بالحكمة والتدرج فى التربية : أن أناساً من الأنصار
سألوا رسول الله فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم
حتى نفذ ما عنده . فقال . ما يكون عندى من خير فلن أدخره
عنكم ، ومن يستعفف بعفة الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن
يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر
حرص على إقرار الحقائق ومحو الشبهات . عن صفية أنها
جاءت الرسول تزوره فى اعتكافه فى المسجد فى العشر الأواخر
فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تتقلب فقام النبي يقلبها حتى اذا
بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلاً من الأنصار فسلمها

على رسول فقال لها النبي على رسلكما ، إنما هي صفة بنت حبي
فقالا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ، فقال النبي : ان
الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم ، وانى خشيت ان يقذف
في قلوبكما شيئا .

حرصه على العهد والوفاء به : يقول لا بو جندل بن سهيل
وقد جاءه بعد صلح الحديبية : اننا قد اعطينا القوم عهدا فاصبر
حتى يجعل الله لك مخرجا ويقول لأصحابه في خروجهم للغزو :
إذا اعطيتم فلا تعطوا ذمة الله وذمة رسوله واسكنوا ذمتكم
وذمة أصحابكم وإذا حاصرت أهل حصن فارادوك أن تجعل
لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه . ولكن
اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذمتكم أهون من
ان تخفروا ذمة الله ورسوله ،

ومن حكمته وسياسته أن يرد كل حق إلى صاحبه فيألف
بذلك القلوب ويكون ذلك أكثر سدادا وأحسن توجيهها للأمور .
نادى عثمان بن طلحة يوم فتح مكة واعطاه مفتاح الكعبة وقال
يا عثمان : اليوم يوم بر ووفاء .

ومن سياسته المعتمدة على الفهم النفساني العميق : انه أطلق
الهدى في وجه سفير قريش اليه في الحديبية فتأثر الرجل من منظر
الهدى وقد تأكلت أوباره ورجع إلى قريش دون أن يلقى رسول الله

حكيمته في تلقى الانبياء وتصديقها بصورها في موقفه من
زيد بن ارقم حين حدثه بحديث ابن أبي وقد أخذ الرسول بحاوره
في أدب جم ، يدفع فيه الاتهام ما استطاع عن (ابن أبي) فيقول له
يا غلام لعلك غضبت عليه ، لعله أخطأ سمعك لعله شبه عليك وزيد يؤكد
الخبر والسمع .

نفاذ بصيرته من حاضر الأمور إلى مستقبلها بالفراسة والتقدير :
أراد عمر أن يمثل بسهيل بن عمرو فيخلع ثنيته فعارضه الرسول
وقال لا أمثل به ولو كنت نبيا وعسى أن يقوم مقام ما لا تدمه ، وقد
أسلم سهيل من بعد وقام في أهل مكة أبان فتنة الردة موقفا كريما .
عرف بمدارة الناس بالحكمة والاتقاء ، عن عائشة قالت :
أستأذن رجل على رسول الله فقال بذس أخ العشرة ، ثم أذن له
قالت عائشة فلم انشب ان سمعت ضحك النبي معه فلما خرج قلت
يا رسول الله قلت ما قلت ، ثم لم تنشب ان ضحكك معه فقال
رسول الله ان شر الناس من اتقاء الناس اشره . وهي سياسة
نفاذه قد لا ترضى بعض القاصرين في فهم الأمور والعاجزين عن
النفاذ إلى اعماقها والدربة على سياسة الناس .

العدل بين الناس ، حسب قدومهم اليه . جاءه أنصارى يسأله
وجاءه رجل من ثقيف يسأله . فقال يا أخا ثقيف أن أنصاريا

قد سبقك بالمسألة فاجلس كما نبدأ بحاجة الأنصارى قبل حاجتك، يقضى بين الناس ويقول أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وتلك لعمري من أعظم صفات القيادة التي تعتمد على الشرائع الإنسانية والتقدير الشخصي للأمور على ظاهرها وبالنظر إلى حيثياتها ومسبباتها ولذلك يقول ﷺ محذرا وموجها: أنكم تختصمون إلى وعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فأنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها

ويصف سياسة الاستعباد التي تفرق بين مجرم ومجرم، وبين مذنب ومذنب فيقول: إنما أهلك من كان قبلكم أنه كان إذا أجرم العظيم تركوه، وإذا أجرم الضعيف أقاموا عليه الحد وفي رواية إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وهو الذي يضع أمور القضاء في نصابها فلا يقبل فيها شفاعاة ولا مساومة ولا دية فيقول لأسمامة: ويحك يا أسمامة أتشفع في في حدمن حدود الله، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

وعند ما أرسل معاذا إلى اليمن قال له يسر ولا تعسر، بشر ولا تنفر وإذا جلس إليك الخصمان فلا تفضي بينهما حتى تسمع من الآخر هذه بعض لمحات من مظاهر القيادة، وعوامل الزعامة، في شخصية الرسول . تدل على أن صفة الزعامة والقيادة يكملها

وقوتها واتساع افقها وجدت كاملة في رسول الله ﷺ وهي
(زعامة) انسانية أكثر منها زعامة وحى ، فيها طبائع الانسان
الممتاز العبقري ، الذي يقدر الأمور بالعقل ويصرفها بالعاطفة
ويزنها جميعا دون تفريط أو إفراط .

هذه صفات الزعامة والقيادة كما كان عليها رسول الله ﷺ
وقد أجمعنا هنا لنفضلها في مكانها من هذه الدراسة وهي
« سجايا » ثابتة في الدعوة الإسلامية لا تتغير فأيما وجدت في داعية
إسلامي فإنما هو مهتد بهدي رسول الله ، سائر على نهجه ، عامل
على سنته على تفاوت في الظروف والهيئة والأحوال ، وإينما
افتقدتها فهو ادعاء وليست دعوة بل غش وخداع

تلك هي علامات الداعية الصادق السائر في طريق محمد
والناهل من فيض عليه وتوجيهه ، المقتني لسنة ومنهاجه .

هي علامات أول سطر فيها هو البذل والعطاء والتضحية
والفداء والأذى في الله والخوف من الله ، وخشية الله وحده
لا ترهبه صولة ولا ترده عن « دعوته » قوة بالغة ما بلغت من
الظلم والاضطهاد والاعنات .

صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا